مجلــة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth) Journal for Social and Human Sciences
ISSN: 1112-4210 EISSN: 2139-2588
المجلد: 18 / العدد: 03 / السنة: 2019 (العدد التسلسلي 50) / ص ص:01-14

تعزيز قيم الحرية والتسامح في الإسلام ودورهما في مقاومة الانحراف الفكري

The impact of promoting the values of freedom and tolerance in Islam and their role in resisting intellect ual deviation

د. محمد رافة، **اللغة والدراسات القرآنية ، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف – الجزائر**، الهاتف : 0790367644، moh—58@hotmail.fr

- Received date: 23/12/2018
- Accepted date: 18/06/2019
- Publication date: 30 /09/2019

ملخص:

يواجه المربون اليوم تحديات تكمن في أداء دوره الفعال والمتمثل في غرس القيم والأخلاق في المجتمع لتحقيق مشروعها الحضاري . لقد ظلت الحضارة الإسلامية لقرون طويلة رائدة، تتزعم العالم في شتى مجالات العلوم والمعارف بحيث شكلت القيم الأخلاقية المتمثلة في الحرية والتسامح، الدرع الواقي لصيانتها واستمرارها. تهدف الدراسة إلى بيان أهمية غرس التربية في جميع مراحل التعليم، وبالأخص في التعليم العالي، بغية تحصين الشباب وغرس فيهم القيم خاصة في ظل العولمة الفكرية والثقافية، التي تسعى جاهدة لتعميم الفكر الأحادي، وتعمل على تجاهل خصوصيات الشعوب المحكومة بالأخلاق والقيم. وللوصول إلى الهدف استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي. نتوخى من هذا البحث ومن خلال استقراء النصوص الشرعية الوصول إلى إبراز المنهج الملائم للوقاية من الانحراف الفكري، وترسيخ قيم الحرية والتسامح في التعامل مع الآخر.

الكلمات المفتاحية : القيم، الحرية، التسامح، الاستقامة، الانحراف الفكري

Abstract :

The teaching of Islamic sciences today faces challenges in the performance of its effective role of instilling values and ethics in society to achieve its civilizational project.. The study aims to demonstrate the importance of teaching Islamic sciences in all stages of education, especially which strives to unify monotheistic thinking and ignore the peculiarities of people governed by morality and

values. To reach the goal, we used the analytical descriptive approach. From this research and through the extrapolation of the legal texts, we seek to highlight the appropriate method to prevent intellectual deviation and to consolidate the values of freedom and tolerance in dealing with the other

Keywords: Values, freedom, tolerance, integrity, intellectual deviation

مقدمة:

إن المتأمل في واقع أمتنا وما آلت إليه من ذل وهوان، وانعدام الأمن وصل إلى حد ضرب بعضهم رقاب بعض، لا يلبث أن يدرك أن أساس كل بلية، ومصدر كل شر ورزية عبر التاريخ، هو الانحراف الفكري، به يفسد التصور، فينتج عنه فساد الحكم ، ومن ثم تنطلق الجوارح كمعاول هدم وفساد وتخريب، ويحسب مرتكبوها أنهم يحسنون صنعا .

قال القرضاوي : " استقامة الفكر سابقة على استقامة السلوك ولا يمكن أن يستقيم سلوك الإنسان إذا لم يكن فكره مستقيما " [1]

ولما كان التصور يسبق الحكم، وكانت الأعمال والسلوكات انعكاسا وتصديقا لما وقر في القلب، جاءت أحكام الشريعة الإسلامية بداءة بالقضايا الكبرى المتعلقة بالعقيدة لتقرر علاقة الإنسان بربه، وعلاقته مع نفسه وعلاقته بغيره من الناس بل وعلاقته بسائر المخلوقات الأخرى . فسلامة التصور نابعة من سلامة العقيدة فحُق لنا أن نتسائي

إلى إي مدي يمكن للعقيدة أن يكون لها تأثير في تطهير القلب من كل درن، وتحرر الفكر من كل ما علق به من شوائب وتصورات فاسدة.؟

وتلك الآثار التي تتركها العقيدة، يفترض أن تكون هي عين الحرية التي سنتحدث عنها في بحثنا، باعتبارها قيمة إنسانية تسبق الالتزام بأحكام الشريعة. حتى أن كثيرا من العلماء عند حديثهم عن الحرية يرون بأن تحقيقها سابق على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. ذلك أن صلاح العمل متوقف على صلاح التصور .وأن المرء يقاد من داخله .

ومن هنا تبرز أهمية الوعظ والإرشاد والتوعية في جميع مراحل التعليم وبالأخص في التعليم العالي بغية تحصين الشباب وغرس القيم والمبادئ والأخلاق، خاصة في ظل العولمة الفكرية والثقافية، التي تسعى جاهدة لتعميم الفكر الأحادي، وتعمل على تجاهل خصوصيات الشعوب المحكومة بالأخلاق والقيم، ومن الطبيعي أن تفرض الحضارة الغالبة والرائدة هيمنتها على غيرها .

1 - مفهوم القيم:

القيم الأصل فيها القيم الإنسانية بتقدير محذوف، وهي تلك المبادئ والأسس الوجدانية التي يحقق بها الإنسان إنسانيته، وتضمن استمراره، ويؤكد بها كرامته وأفضليته على كثير من المخلوقات، وإذا فقدها فقد إنسانيته واستحقاق تكريمه .

عامة الناس يشتركون في تحسين ما هو حسن وتقبيح ما هو قبيح، فمنظومة القيم من الصدق والأمانة والعدل والحرية والتسامح والرحمة والشجاعة و الصبر هي قيم تثير

[1] - يوسف القرضاوي، الشريعة والحياة موضوع الحلقة : " معنى الاستقامة وإمكانية تحققها في حياة المسلم"بتاريخ 2010/12/15

الإعجاب والتقدير والرضا، بينما تثير أضدادها - الكذب والخيانة والعبودية والتعصب والقسوة والجبن والجزع - السخط والامتعاض، فالنقد فطرة في الإنسان، وهذه القيم هي محل اتفاق عند غالبية الناس إن لم نقل كل الناس، فلا إشكال في ذلك، غير أن الإشكال يُطرح في مفاهيم وتصورات هذه القيم، بل ومرجعيات أصحابها .

فعلى سبيل المثال: التدخل العسكري تحت مبرر محاربة الإرهاب أو حماية حقوق الإنسان مع ما يصاحب ذلك من قتل وتخريب ودمار هو ظلم صارخ، تراه الدولة المتدخلة عين العدل وهنا تكمن خطورة المفاهيم، المصطلح واحد والمفهوم مختلف.

فالتسويق للمفاهيم القيمية هو غزو ثقافي له أثره البالغ على الفرد والمجتمع، وهنا تأتي أهمية تدريس العلوم الإسلامية لتحصين شبابنا من المفاهيم والأفكار الدخيلة التي لا تمت بصله لتراثنا الفكري والحضاري ثم العمل على تعزيز قيم الحرية والتسامح كما جاءت بها الشريعة لتكون الدرع الواقي من أي انحراف فكري تكون عواقبه وخيمة .

2.1 قيم الحرية :

من الحقوق الأساسية والطبيعية للإنسان حقه في الحرية، فلا معنى لحياته بدونها. يمكن للإنسان أن يعيش محروما من أمور كثيرة، لكنه لا يستطيع العيش بدون حرية، فحياته لا قيمة لها ما دامت إرادته مسلوبة وإن كان يقوم بالوظائف الحيوية.

فالحرية قدرة المرء على فعل شيء أو تركه بإرادته بعيدا عن أي إكراه ولها مجالات منها حرية المعتقد وحريه الفكر وحرية التعبير والرأي وغيرها.

1.21 - حرية المعتقد أو الدين :

إن القرآن الكريم إذ يقرر للإنسان الحرية الدينية، فهو في الوقت نفسه بتشريعاته، يحمى هذه الحرية الدينية، ويجعلها مصونة، وما شرع القتال إلا لحفظ هذه الحرية، حرية المرء في عقيدته ومنع أي اضطهاد أو إكراه يمارَسُ عليه تكون غايته مصادرة إرادته وحرية اعتقاده .قال تعالى : **"وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)** الحج: 40

قال أيضا : **(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)** الكهف : 29

وقال أيضا : **(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)** البقرة : 255

فكما لا يجوز إجبار المرء على الدخول في دين بالقوة، كذلك لا يجوز صده عن دين اعتنقه بإرادته وحريته، ولا شك أن الإقرار بحق الإنسان في ممارسة حريته الدينية والفكرية مظهر من مظاهر تكريمه كإنسان، بغض النظر عن عقيدته قال تعالى :**(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)** الإسراء :14

إن استقراء نصوص الشريعة الإسلامية من كتاب وسنة، يكشف لنا أن اضطهاد المسلمين وصدهم عن دينهم وعقيدتهم باستعمال شتى وسائل الإكراه هو المقصود بالفتنة في الدين. وأن لا شيء يزيد على القتل وسفك الدماء وإزهاق الأرواح على بشاعة ذلك كله، إلا الفتنة في الدين. ولتأصيل المسألة نستدعي النصوص القرآنية التالية :

قوله تعالى**: (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)** البروج: 10

وقوله**: (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)** البقرة:190

وقوله:**(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)** البقرة :192

وقوله: (**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**) البقرة : 215

والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا: لماذا كانت الفتنة في الدين أشد وأكبر من القتل ؟

استقراء مذاهب المفسرين في هذه المسألة، يُظهر ترجيحهم لمقصد حفظ الدين على حفظ النفس عند التعارض، قال الطبري : " وابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجعَ عنه فيصير مشركا بالله من بعد إسلامه، أشدُّ عليه وأضرُّ من أن يُقتل مقيمًا على دينه متمسكا عليه، مُحقًّا فيه ."[1]

وأما الراغب الأصفهاني في معرض تعليله لم كانت الفتنة أشد من القتل ؟ فقد ذهب إلى أن الفتنة قد تجمع بين القتل والردة فتكون قد زادت عن القتل بالردة. فقال : (**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**)، لأن الفتنة قد تكون قتلًا، وما هو أعظم من القتل" [2] وأرجعها الفخر الرازي نقلا عن عباس رضي الله عنه ذلك إلى اختلاف العقاب المترتب عن كل من الفتنة والقتل وتبعات ذلك فقال: " قوله تعالى(**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**) ففيه وجوه :

أحدها : أن المراد من الفتنة الكفر بالله تعالى، وإنما سمي الكفر بالفتنة لأنه فساد في الأرض يؤدي إلى الظلم والهرج، وفيه الفتنة، وإنما جعل الكفر أعظم من القتل، لأن الكفر ذنب يستحق صاحبه به العقاب الدائم، والقتل ليس كذلك، والكفر يخرج صاحبه به عن الأمة، والقتل ليس كذلك فكان الكفر أعظم من القتل" [3]

وأما سيد قطب فقد عد الفتنة اعتداء على حق الإنسان في حرية الاعتقاد وأن هذا الحق أقوى من حقه في الحياة وهذا طبعا عند التعارض فقال:

"إن الفتنة عن الدين اعتداء على أقدس ما في الحياة الإنسانية، ومن ثم فهي أشد من القتل. أشد من قتل النفس وإزهاق الروح وإعدام الحياة. ويستوي أن تكون هذه الفتنة بالتهديد والأذى الفعلي، أو بإقامة أوضاع فاسدة من شأنها أن تُضِلَّ الناس وتفسدهم وتبعدهم عن منهج الله، وتزين لهم الكفر به أو الإعراض عنه وقال في السياق ذاته:" وأكرم ما في الإنسان حرية الاعتقاد. فالذي يسلبه هذه الحرية، ويفتنه عن دينه فتنة مباشرة أو بالواسطة، يجني عليه ما لا يجني عليه قاتل حياته. ومن ثم يدفعه بالقتل " [4]

فاعتبر الاعتداء على العقيدة، وفتنة أهلها، أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها. فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم. وإذا كان المؤمن مأذوناً له في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله، فهو من باب أولى مأذونا في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه. وغير بعيد عما ذهب إليه سيد قطب ما ذكره القرضاوي وإن اختلفت الألفاظ والمباني حيث أرجع التفضيل إلى أن القتل المعنوي أشد من القتل المادي فقال : " الفتنة في الدين أشد من القتل، لأن القتل اعتداء على الكيان المادي للإنسان : الجسد، والفتنة اعتداء على الكيان المعنوي : الروح والعقل والإرادة" [5]

إن منع حصول الفتنة في الدين هو أولوية الأولويات في الشريعة الإسلامية، لذا وإن قدر الله لنا فتنة فإنا ندعو أن لا تكون فتنة في الدين، اللهم لا تجعل فتنتنا في ديننا.

---

[1]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 14 ص 345

[2] - تفسير الراغب الأصفهاني، ج 3 ص 1416

[3]- تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب، ج 3 ص 144

[4] - في ظلال القرآن، ج 1 ص 164

[5]- القرضاوي : الإبادة الجماعية فكرة توراتية نفذتها بريطانيا، حوار من برنامج «فقه الحياة» 2009/09/27

الفتنة في الدين هي اعتداء على حق الإنسان في الحرية

في دلالة هذه الآية محاذير، فقد يفهمها البعض، على أنها إذن مطلق من الله تعالى بقتال الكفار والمشركين، واستحلال دمائهم، حتى لا يبقى على وجه الأرض كفر أو شرك أو إكراههم على اعتناق الدين بغير إرادتهم، حفاظا على أرواحهم .مستدلين في ذلك بحديث صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنَّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال:" أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، ويُقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقِّ الإسلام، وحسابُهم على الله تعالى" [1]

ذكر العلماء أن هذا الحديث تعرض للإساءة في فهم معانيه ودلالاته. وسماه الشيخ محمد الغزالي بالحديث المظلوم من فهم بعض الناس له.

ومعلوم أن ابن عمر – وهو راوي الحديث -كان ممن اعتزل الفتنة والقتال الذي حدث بين الصحابة في عهد علي ابن طالب رضي الله عنه قيل له : .

يا أبا عبد الرحمن لماذا لا تقاتل وقد قال الله : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فقال ابن عمر: قد فعلنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه إما أن يقتلوه، وإما أن يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة[2] ، فيكون ابن عمر قد بين حقيقة الفتنة في الدين التي عنتها الآية الكريمة، الفتنة في الدين هي اعتداء على حق الإنسان في الحرية.

2.2.1- حرية الفكر :

لا شك أن المرء حر في تفكيره، ولا يحق لأي كان أن يسلبه إياها ويحمله على فكره، لان في ذلك اعتداء على ممارسة حق من حقوقه، بل اعتداء على حقه في الوجود فضلا عن إعدام وتعطيل لنعمة العقل التي وهبها الله عز وجل للإنسان، لذا كان التقليد الأعمى منبوذا لان فيه تقييدا لحرية الفكر، فقوله تعالى: " **: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)** غافر: 2.

فاعترض عليه رجل من الحضور: قال الله تعالى **: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)** غافر: 28

بتأمل بسيط في الآية يظهر جليا أن الرجل المؤمن من آل فرعون ما حمله على التجرؤ والاعتراض على عمل فرعون في قتل موسى عليه السلام، إلا سلامة الفكر وحريته، فتصوَرَ أنه اعتداء صارخ على حق الإنسان في الحياة، وقتل لنفس بشرية بغير وجه حق لمجرد قوله ربي الله مصداقا لقوله تعالى : **(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)** البروج : 8

فظهر الانحراف الفكري قال تعالى **: (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)** غافر: 29

---

[1]- رواه البخاري: كتاب الإيمان:، حديث رقم25. مسلم: كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله: حديث رقم22.

[2] – صحيح البخاري رقم الحديث :4153 باب : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ج13 ص124

استبداده و طغيانه - فساد فكره وتصوره – حمله على حرمان قومه من حرية التفكير، بأن لا يفكروا إلا بتفكيره ويعدموا عقولهم. فنظره نظرهم، ورأيه رأيهم، وفكره فكرهم، وإرادته إرادتهم، وكل ما هو مطلوب منهم الإتباع.

وفي هذا الشأن يقول سيد قطب : "إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صوابًا، واعتقده نافعًا. وإنه لهو الصواب والرشد بلا شك ولا جدال! وهل يرى الطغاة إلا الرشد والخير والصواب؟ وهل يسمحون بأن يظن أحد أنهم قد يخطئون؟! وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأيًا؟ وإلا فلم كانوا طغاة؟" [1].

3.2.1- حرية الرأي :

حق المرء في التعبير عن أفكاره ومشاعره مكفول في الإسلام ما لم يكن ذلك إضرار بالآخرين، وهي سبيل لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وبها يتم له القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى : **(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** آل عمران : 104

ولحرية الرأي والتعبير في الإسلام ضوابط منها أن لا يكون فيها مساس بحرية الآخرين وكرامتهم فحفظ أعراض الناس هو الآخر قيمة في منظومة القيم الإسلامية، بل هو من المقاصد الضرورية فلا ينبغي تجسيد قيمة من القيم وتعطيل أخرى.

لذلك الفقيه عندما يصدر فتوى في أمر من أمور الدين، يفتى بما يحقق حفظ منظومة القيم كاملة.

إن الإيمان بقيم الحرية سواء حرية العقيدة والدين أو حرية الفكر أو حرية التعبير والرأي وتبنيها كأسلوب حياة، كفيل بجعل المرء يتمتع بسعة الصدر ولين الجانب، فلا يضيق بوجود الآخر الذي يختلف معه في العقيدة والدين والفكر والرأي ويحصل التعايش في ظل الأمن والسلم .ويتخلص من ثقافة العداء والكراهية .

2.2 - قيم التسامح :

في الإسلام قيمة التسامح تكتسي الصبغة الدينية، فهي جزء من عقيدة المسلم، دعت إليها نصوص القرآن الكريم والسنة، فالمسلمون بحكم الإيمان والعقيدة ملزمون بالتزام قيم التسامح.

لقد أدرك أسلافنا أن احترام الآخر كإنسان والتعايش معه، يتعدى الحفاظ على حياته وأمواله وعرضه إلى التعاون معه والبر به والإحسان إليه ومعاملته بالعدل والقسط لقوله تعالى:

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الممتحنة: 8

ومنه يفترض أن العداوة بين الناس بسبب عقيدتهم وجنسهم ولسانهم وما يحملون من أفكار، لا ينبغي أن تكون، لكننا للأسف اليوم نشهد التناحر والاقتتال بين الإخوة الذين يشتركون في الدين والجنس واللغة يحدث هذا بسبب غياب قيم الحرية والتسامح وثقافة التعايش السلمي فإذا غابت الحرية حلت محلها العبودية وإذا غاب التسامح حل محله التعصب .

قد يكون الجهل وعدم الانفتاح على الآخر وراء ذلك ومن هنا تظهر أهمية تعليم العلوم الإسلامية وضرورتها في تحصين الفرد وتربته على القيم.

فإذا كان الإسلام يدعوا إلى الإحسان بأن نعطي من حرمنا، ونصل من قطعنا، ونعفو عمن ظلمنا فمن باب أولى أن نحسن معاملة من لم يصدر منه إذاية لنا .

[1] - سيد قطب، في ظلال القرآن، جر5، ص3079

قال تعالى : (**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**) النحل : 128/126

فالتسامح هو التجاوز عن إيذاء الناس لنا ، والتنازل عن الرغبة في الانتقام لأنفسنا ومقابلة الاعتداء بالاعتداء . وان لا يكون في قلوبنا شيء تجاه من أساء إلينا .

وقد يتقاطع التسامح مع العفو في تجاوز العقوبة إلا أن الفارق بينهما أن العفو مع إسقاط العقوبة فيه إبقاء على اللوم والمؤاخذة

لا شك أن ذلك أمر يتطلب صبرا ومجاهدة لما في ذلك من مخالفة النفس المجبولة على حب الانتصار والتعالي والتكبر.

ومن ثمرة غرس قيم التسامح في أفراد المجتمع انتشار المحبة وقد تكتشف الجوانب الخيرية في الآخرين، وتحرك عندهم قيم الخير الكامنة فيهم.

اكتساب خلق التسامح لمن لا يملكه ليس بالأمر الهين، يكون بترغيب الناس في أجره العظيم عند الله تعالى.

لا شك أن التعايش السلمي بين جميع البشر، والتوجه نحو الآخر الذي يختلف معنا في عقيدته وجنسيته وفي بشرته وفي لسانه... ضرورة ومسالة أساسية مرجعيتها كرامة الإنسان .

فقط الحوار الحضاري المبني على التفاهم واحترام الآخر يسمح للناس بالعيش بسلام وأمن متآخين ما داموا يرجعون إلى أصل واحد قال تعالى: (**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) الحجرات: 13

والسؤال الذي يطرح : كيف نجعل من اختلافنا مصدر ثراء وتعايش وتعاون وعيش في ظل السلام والأمن وبعبارة أخرى كيف يمكننا ترسيخ قيم التسامح بين الأفراد وبين المجتمعات ؟

لا شك أن مسألة السلام والأمن هي من الانشغالات التي تؤرق المجتمعات، لأنها من الحقوق الأساسية للإنسان كإنسان وفي نظر الكثير من الباحثين التحدي لا يكمن في التعايش بل التعايش بما يحفظ الكرامة لجميع الناس

ومسألة الكرامة وردت كثيرا في النصوص الشرعية .بإمكاننا الاستغناء عن أشياء كثيرة في الحياة هي من الحاجيات لكن لا يمكن العيش بدون كرامة وعند الحديث عن حق الحياة يفترض أن حق العيش بكرامة محذوف بتقدير، وإلا لا يصبح لحق الحياة مطلقا معنى .ومن هنا تبرز أهمية قيمة التسامح كقيمة إنسانية قبل أن تكون أخلاقية .

ولا شك أن المقاصد الضرورية الخمس من حفظ الدين والنفس والعرض والمال والنسل هي في مجملها جاءت لحفظ كرامة الإنسان.

غرس قيم الحرية والتسامح في سلوك أفراد المجتمع بات أمرا ضروريا بل هو تحدي حقيقي يجب مواجهته ورفعه، ذلك أن ما يعيشه العالم اليوم من أحداث يكشف لنا أن الاشتراك في الدين والجنس واللغة لا يحقق الأمن والسلام والاستقرار في غياب قيم الحرية التسامح .

لا شك أن حاجة المرء إلى التمسك بالقيم لتنمية وجدانه لا تقل أهمية عن حاجته إلى العلم والمعرفة لتنمية فكره، لتكون شخصيته متكاملة ومتوازنة، لذا جاءت آيات القرآن الكريم تخاطب العقل والوجدان.

استنبات منظومة القيم الإسلامية المفقودة خاصة قيم الحرية والتسامح في شبابنا حتى تتجلى في تصرفاتهم وتتجسد في سلوكياتهم

فتكون بمثابة حصن منيع في مقاومة الانحراف الفكري .

3- مفهوم الانحراف الفكري وما صوره ومظاهره ؟

الحديث عن الانحراف الفكري يستلزم حتما الحديث عن استقامة الفكر، ذلك أن الأول إنما أخذ هذا الوصف – الانحراف – نسبة إلى لثاني، فالاستقامة هي المعلم والمقياس الذي نحكم به على وجود انحراف من عدمه. والأصل في الفكر الاستقامة وأما الانحراف فهو طارئ .

الاستقامة الفكريّة وهي الالتزام في مجال التشريعات الإلهيّة والقيم والمبادئ التي دعت إليها الشريعة، وهي الصراط المستقيم الوارد ذكره في القرآن في سورة الفاتحة وغيرها نحو قوله تعالى : **(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** الأنعام : 153

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا، وَخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ خَطًّا، وَخَطَّ عَنْ يَسَارِهِ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا فَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، وَقَرَأَ " أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ " [1] فالاستقامة مفردة بينما الانحراف متعدد

1.3 - الانحراف الفكري لغة

مصطلح "الانحراف الفكري" كمركب إضافي، مصطلح حديث، لم يرد في معاجم اللغة العربية غير أن لفظ "الانحراف "مطلقا ورد ذكره فيها

جاء في لسان العرب " وحرف عن الشيء يحرف حرفا وانحرف وتحرف وإذا مال الإنسان عن شيء يقال تحرف وانحرف .. وتحريف الكلم عن مواضعه : تغييره " [2].

وأما لفظ " الفكري " فهو من الفكر والتفكر: التأمل. والاسم الفكر والفكرة، وقال الفيروز آبادي: الفكر بالكسر ويفتح: إعمال النظر في الشيء.[3]

2.3 - الانحراف الفكري اصطلاحا

أما اصطلاحا فقد اختلف في تعريفه، ووردت فيه تعاريف عدة نذكر منها

تعريف عبد الحي عبد المؤمن حيث قال " العدول عن الصواب لتردد القلب في شبهة غير شرعية مضرة ضرراً متعدياً بصحابه المخطأ الخاطي"[4].

ومنها ما ذكره المناوي فقال " مجانبة الفطرة السليمة واتباع الطريق الخطأ المنهي عنه، دينيا أو الخضوع والاستسلام للطبيعة الإنسانية دون قيود "[5]

وعرفه أ.د أحمد عصام بأنه : " عدم الالتزام بالقواعد الدينية والتقاليد والأعراف والنظم الاجتماعية السائدة والملزمة لأفراد المجتمع " [1]

---

[1] - رواه أحمد وحسنه الشيخ الألباني في تخريج مشكاة المصابيح رقم 166

[2] - ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص90

[3] - ينظر : الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية اج2ص49، الفيروزآبادى. القاموس لمحيط،ج 1 ص458

[4] - عبد الحي عبد المؤمن، الانحرافات الفكرية لدى الشباب وأثرها على الأمن الاجتماعي، ص 5، أ. د. أحمد بن يوسف الدرويش موقف الداعية من الانحرافات الفكرية، 2009م، ص 8.

[5] - عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط1، 1356ه-، ج3 ص63،

من خلال التعاريف السالفة الذكر نهتدي في كل منها إلى وجود مانع يمنع المرء من سلوك طريق الاستقامة نحو العدول عن الصواب، مجانبة الفطرة التمرد على القيم الدينية والاجتماعية ... ومحل ذلك كله الفكر

نخلص إلى القول أن الانحراف الفكري قيد مسلط على الفكر، يمنع صاحبه من التحرر والانعتاق وسلوك طريق الاستقامة والقيود كثيرة نوضحها من خلال النماذج التالية.

3.3 – نماذج للانحراف الفكري

فاتباع المرء ما وجد عليه آباءه وأجداده هو قيد يحجبه عن رؤية الحق متجليا قال تعالى : **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)** البقرة : 170

والجهل قيد يمنع الفكر من التحرر قال تعالى: **(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ)** يونس: 39

يقول ابن القيم رحمه الله: "وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس" [2]

واتباع المتشابه من الآيات بغية الفتنة وترك المحكم منها هو انحراف فكري

واستخدام العقل فيما لا مجال للعقل فيه أو ما هو خارج عن حدوده هو انحراف فكري

تقديم العقل على النقل من الانحراف الفكري

وتفسير النصوص الشرعية بما يوافق الهوى في غياب قواعد تفسير النصوص هو من الانحراف الفكري

وتحول العقل الذي وجد في الأصل لعقل جماح النفس وتهذيبها، إلى أداة لتحقيق شهواتها هو من الانحراف الفكري

والميل إلى الإفراط أو التفريط وترك الاعتدال والوسطية هو من الانحراف الفكري

4- دراسة نموذج من الانحراف الفكري

قد يتساءل البعض عن العلاقة بين الحرية والتسامح باعتبارهما قيما نبيلة وجب العمل على ترسيخها، وبين الزيغ وما يعقبه من اتباع المتشابه باعتباره نموذجا للانحراف الفكري وجب التخلص منه لسلامة الدين، فنقول وبالله التوفيق

إن الانحراف الفكري قيد مسلط على الفكر، يمنع صاحبه من التحرر والانعتاق وسلوك طريق الاستقامة وأن ترسيخ العقيدة الصحيحة كفيلة بمنح المرء القدرة على التحرر من جميع أشكال القيود فيحقق معنى العبودية

فالعبودية بهذا المعنى حرية، والحرية عبودية إذا وجد القيد الذي يمنع الفكر من التحرر

1.4 - الزيغ

الزيغ بإتباع المتشابه بدل المحكم

قال تعالى:**(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)**آل عمران :

بتأمل بسيط في الآية ندرك ما يلي :

أولا: آيات القرآن الكريم على ضربين، محكم ومتشابه. وأن المحكم هو الأصل الذي ينبغي أن يرجع إليه المتشابه .

---

[1] -- أ.د عصام أحمد البشير، الانحرافات الفكرية شبهات وردود، ص6

[2] - - ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ج2 ص20

ثانيا: أن الفتنة باعتبارها شر وفساد، لا يبتغيها إلا أولئك الذين زاغت قلوبهم عن الحق.
ثالثا : وسيلة أهل الزيغ لإيقاع الناس في الفتنة، تأويل الآيات المتشابهات بما يتفق وأهواءهم فيفتنوهم عن دينهم .
رابعا: دلت الآية على ذم متبعي المتشابه، ومدح الراسخين في العلم في تفويض الأمر إلى الله تعالى
لقد ارتبط لفظ الفتنة في الآية الكريمة بمصطلحين هما : المتشابه والزيغ :

2.4 المتشابه :

فالمتشابه يأتي في مقابلة المحكم، وهو وسيلة الفتنة وأما الزيغ يأتي في مقابلة الهداية وهو صفة مُبتغي الفتنة.
وقد اختلف العلماء في تحديد معنى المتشابه إلى أقوال كثيرة، أوردها الشوكاني في تفسيره وناقشها ليخلص إلى أن هذه التعاريف، كل منها اقتصر على بعض صفات المتشابه وليس كل الصفات ، وأنها لا تتعارض فيما بينها، بل يكمل بعضها بعضا، فهي غير جامعة لجملة أفراد المعرف.
وأعطى تعريفا مستوفيا فقال: " والمتشابه مالا يتضح معناه أو لا تظهر دلالته لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره " [1] ورجحه د .طه عابدين طه حيث قال :" وَمِلْنا إليه لقوة أدلته " [2]
وقد عُرف المتشابه بأنه: "هو الذي يقابل المحكم، وهو ما أشكل تفسيره لمشابهته غيره، إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى، أو من حيث اللفظ والمعنى معًا "[3]
" وقد يقال لكّل ما غمض و دق : متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطعة في أوائل السور : متشابه، وليس الشك فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها، والتباسها "[4] بين الله تعالى أن نصوص القرآن الكريم على ضربين : محكم ومتشابه، فالقسم الأول واضح الدلالة على المعنى المراد ليس فيه إشكال، وهو الأكثر بل هو الأصل الذي يرجع إليه المتشابه وأما القسم الثاني فهو المتشابه وهو ما يلتبس معناه في أذهان كثير من الناس لكون دلالته مجملة أو خفية أو مسلكها دقيق يتطلب فقها وفطنة.
ويقال اشتبه علي الأمر إذا أشبه غيره فلم أستطع الفصل والتفريق. فقد يشتبه الحق بالباطل والحلال بالحرام. وفي الحديث عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُما أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وهِيَ الْقَلْبُ"[5]

---

[1] - الشوكاني، فتح القدير، ج 1 ص 314
[2] - د. طه عابدين طه "المتشابه في القرآن الكريم مفهومه وأسبابه وحكمته، مقال، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد41، جمادى الثاني 1428 ه، ص16
[3] - سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر دمشق – سورية، ت ط 1988 م، ص 190
[4] - ابن قتيبة (ت 276 هـ)، تأويل مشكل القرآن، ص 102
[5] - الحديث أخرجه البخاري كتاب : الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، (52)، ومسلم، كتاب : المساقاة، باب : أخذ الحلال وترك الشبهات، (1599)

ورد ت مادة (ش ب ه)في القرآن الكريم بصيغة "تشابه "على وزن تفاعل ثلاث مرات.
في قوله تعالى: **(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ)** البقرة: 69
وقوله تعالى :**(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)** آل عمران : 7
وقوله تعالى : **(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)** الرعد :17
الأصل في القلب السلامة، وأما الزيغ مرض من أمراض القلب كالضلال والشك والشبهة والحيرة. والزيغ في اللغة مطلق الميل غير أن الدقة تقتضي التفريق بينهما قال العسكري : "الفرق بين الزيغ والميل: أن الزيغ مطلقا لا يكون إلا الميل عن الحق يقال : فلان من أهل الزيغ ويقال أيضا زاغ عن الحق ولا أعرف زاغ عن الباطل لان الزيغ اسم لميل مكروه ولهذا قال أهل اللغة الفرغ زيغ في الرسغ، والميل عام في المحبوب والمكروه."[1]
وقال الرّاغِبُ : " الزَّيْغُ المَيْلُ عن الاسْتِقامَةِ إلى أحَدِ الجانِبَيْنِ وزالَ ومالَ وزاغَ مُتَقارِبَةٌ لكنْ زاغَ لا يُقَالُ إلا فيما كانَ عنْ حَقٍّ إلى باطِلٍ"[2]
وجاء في التوقيف على مهمات التعاريف: "الزيغ الميل عن الاستقامة والانحراف عن جهة الصواب والتزايغ التمايل "[3]

أما في القرآن الكريم فقد وردت المادة في القرآن الكريم تسع مرات بهذا المعنى أي الميل عن الحق قال الكفوي " كل ما في القرآن من الزيغ فهو الميل إلا **(وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ)** فإن معناها شخصت"[4]

فكلام الكفوي في استثناء الآية من معنى الميل فيه نظر، ذلك أن الشخوص ليس من أصل إبصار العين ولا من طبيعتها، فالأصل حركتها يمينا وشمالا وفي جميع الاتجاهات لتؤدي وظيفتها وتحقق الغرض الذي سُخرت له من التأمل في مظاهر الكون وآياته، وأما شخوصها، فهو طارئ واستثناء، يحصل عند شدة الهول والفزع، فهو خروج عن سننها، وبهذا الاعتبار ميلا .
إن الأصل في الإبصار الحركة وأما الشخوص والثبات فهو الفرع والاستثناء .
قال تعالى : **(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)** إبراهيم :44

---

[1]- العسكري (ت395 هـ) أبو هلال، الفروق اللغوية، تحقيق : محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة القاهرة مصر، د ت، ص69
[2] - تاج العروس من جواهر القاموس، 5668
[3] - التوقيف على مهمات التعاريف، ص 391
[4] - أبو البقاء الكفومي، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، 766/1

ومعلوم أن صلاح الأعمال متوقف على صلاح القلب، واستقامة الجوارح من استقامة القلب، تلك المضغة في جوف الصدر التي هي محل النية والقصد، وبالنظر إليها يُقبل عمل المرء أو يُرد، يُثاب أو يُعاقب. وسلامته من الشبهات والشهوات سبيل فوز المرء في الآخرة.
قال تعالى: **(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ)** الشعراء: 88 /90

والقلب مَثَلُه كمثل أي كائن حي، يُصاب بالمرض وتغشاه الآفات، يثبت حينا ويتقلب حينا آخر، يصبح مؤمنا ويمسي كافرا، وقد تنزل عليه السكينة حتى لا يكاد يعرف الخوف والفزع إليه طريقا، ويفزغ وكأنه لم يعرف الطمأنينة من قبل .

وسُمي القلبُ قلبًا لتقلبه، ومن الآفات التي تصيب القلب الزيغ، وهو الميل عن الحق وهو أيضا الشك والضلال [1] قال الله تعالى : **(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)** آل عمران : 8

إن ما ينتج بزيغ القلوب هو فساد القصد، فيتبعون المتشابه من القرآن بغرض إثارة الفتنة، فهم يحملون المحكم على المتشابه والأصل أن يحمل المتشابه على المحكم، فقد سمى الله تعالى الآيات المحكمات بأم الكتاب، في إشارة إلى وجوب اتباعها والعمل بما جاء فيها، بل وجعلها مرجعية للمتشابه

" فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضا ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة " [2]

ومن علامات الزيغ : تبدل الآراء الشرعية بمعزل عن الأدلة المعتبرة، يقول حذيفة رضي الله عنه: "مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ يَرَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا، أَوْ يَرَى حَلَالًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا، فَقَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ"[3]

ما طبيعة الفتنة الحاصلة عند تأويل المتشابه ؟

إن الذين فسدت فطرتهم، ومالت قلوبهم عن الحق، وضلوا الطريق بتركهم للمحكم من الآيات الذي تقوم عليه أحكام الشريعة، هؤلاء يسعون إلى المتشابه ليجدوا فيه أرضا خصبة ينفثون فيها عقائدهم الفاسدة من خلال التأويلات التي تشكك الناس في عقيدتهم، وتلبس لهم الحق بلبوس الباطل وجعل الفكر يخوض فيما لا مجال للفكر في تأويله .

إن هناك أمور تعبدية لا تحمل المرء مسؤولية . تعبدنا الله تعالى بها فلم يوجب علينا أكثر من الإيمان بها والتسليم بأنها من عند الله تماما مثلما يفعل الراسخون في العلم، فقد تكون خارج حدود عقولنا، وقد نكون في خلقتنا غير مهيئين لاستقبال حقيقتها . فهي بلا شك ابتلاء واختبار من الله تعالى لعباده .

إن الزيغ والانحراف والميل عن الحق والضلال... تم بتركهم للمحكم الذي آياته بينات و لا خلاف فيها وتعد أصلا " أم الكتاب " وإقبالهم على المشتبهات والانشغال بها . فما ينبغي

---

[1] - د . أحمد عمر مختار، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، ط 1، مؤسسة سطور المعرفة الرياض السعودية ت ط 2002 م، ج 1 ص 943 ولسان العرب، ج 8 ص 432

[2] - السعدي (ت 1376 هـ) عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط 2، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض السعودية، ت ط 2002 م، ج 3 ص 126

[3] - رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

إتباعه نبذوه وما ينبغي تركه اتبعوه. وبسلوكهم هذا قد ضلوا فزادهم الله تعالى ضلالا على ضلالهم وغيا على غيهم فوقعوا في الانحراف الفكري

تحقيق هذه الغاية ليس ببعيد فلنا في تراثنا الفكري والحضاري ما يؤهلنا لتصدير القيم بمفاهيمها التي جاء بها الإسلام . فمنظومة القيم في الإسلام محاطة بنوع من القداسة بحكم ارتباطها بالعقيدة من جهة وبالعبادة من جهة أخري.

فليس من السهل أن ينفق المرء المال على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، وهو مجبول بفطرته على حب المال لولا العقيدة

وليس من السهل أن يضحي بنفسه - أغلى ما يملك - في سبيل الله لولا العقيدة

وليس من السهل أن يتحمل الأذى والقهر والتعذيب، ويصبر على ذلك لولا العقيدة

وليس من السهل أن يؤثر الآخرة الآجلة على الدنيا العاجلة لولا العقيدة

وليس من السهل أن يخالف هواه ويصبر على شهوات نفسه لولا العقيدة

خاتمة:

نخلص إلى القول أن علاج ظاهرة الانحراف الفكري تكمن في علاج أسبابه ويكون

أولا : بإصلاح العقيدة، وبيان ثوابتها

ثانيا :إعادة النظر في أسلوب الخطاب الديني بما يتماشى والتطورات الحاصلة في عالمنا اليوم خطاب مبني على منهج الوسطية والاعتدال في العقيدة والعبادة والقيم والسلوك

فدين الإسلام جاء رحمة للعلمين للناس جميعا على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم لقوله تعالى: **" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ "**الأنبياء:107

ثالثا : تعزيز قيم الحرية والتسامح يوسع دائرة الأخوة لتكون شمولية – أخوة الإنسانية – طالما أن الناس جميعا يشتركون في وحدة الأصل، وأن الله عز وجل كرم الإنسان كإنسان فيتحقق بدلك السلم و الأمن والاستقرار.

رابعا: على القائمين بتربية الأجيال من أسر وأساتذة وباحثين وإعلاميين ونخب القيام بدورهم الفعال في غرس قيم الحرية والتسامح بين أفراد المجتمع ونبذ العنف .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

2- أحمد عمر مختار ، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته ، ط 1 ، مؤسسة سطور المعرفة الرياض السعودية 2002 ت ط م

3- الأصفهاني (ت 502 ه)، الحسن بن محمد بن الفضل الراغب، "المفردات في غريب القرآن "، تحقيق وضبط : محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة بيروت لبنان

4- البخاري(ت 256ه) ، محمد بن إسماعيل " الجامع الصحيح "، تحقيق : محب الدين الخطيب، ط1 المطبعة السلفية القاهرة مصر، ت ط 1400 ه

5- الترمذي (ت320 ه)، - محمد بن علي الحكيم شعب الإيمان5

6- الجوهري (ت 393 ه)) إسماعيل بن حماد، " الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية " تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ت ط 1990 م

7- الرازي (ت 604 ه)، فخرالدين " تفسير الفخر الرازي " المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ت ط1981م

8- الطبري (ت310 ه)، محمد بن جرير، " جامع البيان في تأويل القرآن "، تحقيق : أحمد محمد شاكر ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ت ط 2000م

9- طه عابدين طه "المتشابه في القرآن الكريم مفهومه وأسبابه وحكمته، مقال ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدا بها، العدد41، جمادى الثاني 1428

10- ابن منظور (ت711 ه) محمد بن مكرم " لسان العرب" تحقيق : أ. عبد الله علي الكبير، أ. محمد أحمد

حسب الله أ .هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة مصر، ت ط1981 م
11- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت
12- عبد الحي عبد المومن ، الانحرافات الفكرية لدى الشباب وأثرها على الأمن الاجتماعي
13- عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط 2، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض السعودية ، ت ط 2002 م
14- العسكري(ت 395 ه) ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل " الفروق اللغوية " تحقبق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة مصر، ت ط1997م
15- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 ه) " القاموس المحيط "، ، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، ت ط 1979م
16- ابن قتيبة (ت 276 هـ)، تأويل مشكل القرآن
17- القرضاوي يوسف، الإبادة الجماعية فكرة معجم في المصطلحات توراتية نفذتها بريطانيا ، حوار من برنامج «فقه الحياة» 2009/09/27 - أبو البقاء الكفومي، والفروق اللغوية
18- القرضاوي يوسف، الشريعة والحياة موضوع الحلقة : " معنى الاستقامة وإمكانية تحققها في حياة المسلم" بتاريخ 2010/12/15
19- قطب سيد (ت1387 ه) " في ظلال القرآن " ، ط9، دار الشروق بيروت لبنان، ت ط 1980م
20- ابن قيم (ت751ه)، الجوزية ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى الداية
22- سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر دمشق – سورية، ت ط 1988 م
23- السعدي (ت 1376 هـ) عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،تحقيق : د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط 2، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض السعودية، ت ط 2002 م
24- الشوكاني ت1250ه) ، محمد بن علي بن محمد (، " فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية في علم التفسير " مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده مصر، ت ط 1930م